وسطية الإسلام بين رفاهية العيش والزهد في الدنيا
قراءة فكرية موضوعية من خلال الكتاب والسنة

إعداد

الدكتور/ خالد حمدي عبد الكريم

الأستاذ المشارك بقسم الفقه وأصوله

جامعة المدينة العالمية

ملخص البحث

وسطية الإسلام بين الرفاهية والزهد، في هذا البحث يحاول الباحث الكشف عن الموقف الشرعي من خلال الكتاب والسنة وتاريخ الخلفاء من رغد الحياة، ورفاهية المعيشة، ولعل هذا من المتطلبات الإنسانية على مختلف العصور والأزمان، إذ بغية كل إنسان على هذه البسيطة أن يعيش حياة هانئة رغدة سعيدة، لا يشقى فيها، بل إن الفطرة الإنسانية تجعل صاحب الشخصية السوية يجنب أولاده شقاء المعيشة، فيحاول بكل طاقاته توفير الحياة الرغدة لمن بعده من أولاده، وإذا كان الإسلام اتخذ موقفاً حازماً من الإسراف فنهى عنه، وفي المقابل رغب في الزهد والعزوف عن متع الدنيا، فهل معنى ذلك أن الإسلام حرم أو كره رفاهية المعيشة؟ وإذا كان الأمر كذلك فلماذا نجد صور هذه الرفاهية لدى بعض الخلفاء الراشدين وبعض صحابة النبي صلى الله عليه وسلم؟ هنا تكمن مشكلة البحث، فالبحث يهدف إلى بيان موقف الإسلام من رفاهية العيش، مع محاولة إثبات أن هذه الرفاهية قد تكون مكروهة إذا وصلت إلى حد الإسراف والتبذير، وقد تكون مستحبة إذا كانت من باب شكر نعمة الله تعالى مع عدم البخل على الفقراء والمساكين، وإلا فالأصل في هذه الرفاهية الإباحة، كل هذا ما سنحاول التأصيل والتدليل عليه من خلال الكتاب العزيز، والسنة النبوية الشريفة، وسير الصحابة والصالحين، والله ولي التوفيق.

Research Summary

Centrist Islam between luxury and asceticism, in this research scholar tries to detect the legitimate position through the book and the year and the date of the caliphs of Raghad life, and the well-being of living, and perhaps this humanitarian requirements at different ages and times, with a view to every human being on this simple to live a carefree good life happy, not Ishqy where, but that human nature makes his personal decency spare his children the misery of living, tries with all his energies to provide well-off life for those after him from his children, and if Islam has taken a firm position of extravagance forbade him, but in return wanted to asceticism and refraining from pleasures minimum, does this mean that Islam has forbidden or dislike the welfare of the living? And if so, why we find these pictures welfare of some Caliphs and some companions of the Prophet, peace be upon him? Therein lies the problem of the research, the quest aims to position statement of Islam from the comfort of living, and to prove that this well-being may be hated, if and to the extent of extravagance and waste, may be desirable if the door thanked the grace of God with no stinginess on the poor and needy, and only the basic principle in This luxury is permitted, all this is what we will try to rooting and pampering him through the Koran and the Sunnah, and the conduct of the Companions and the righteous, and God Crown success.

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) نتعرض من خلال هذا البحث لمفهومي الرفاهية والزهد لبيان أنه لا تناقض بينهما بدليل أن الإسلام استحسن الزهد وأباح الرفاهية، في حين أنه رفض الترف والإسراف والتبذير، فالزهد في حقيقته عزوف قلبي عن التعلق بملاذات الدنيا، وإن جاز للزاهد أن يستمتع بالطيبات في هذه الدنيا إذا كانت من حلال واستعملت استعمالاً شرعياً صحيحاً، فالإنسان خلقه الله تعالى معمراً لهذا الكون مبدعاً فيه، وفي ذات الوقت عابداً متقرباً إلى الله تعالى، والمؤمن اللبيب هو من يوازن بين متطلبات الدنيا ومتطلبات الآخرة، فالبحث يبرهن على أنه لا تناقض تماماً بين الرفاهية والعيش الطيب وعمارة الكون، وبين الزهد في الدنيا والرغبة عنها إدباراً منها وإقبالاً على الله والآخرة، ومن هذا المنطلق جاءت مشكلة البحث من خلال تصحيح المفاهيم الخاطئة عن الزهد والرفاهية إذ يظن كثير من الناس أن الزهد عزوف تام عن الدنيا حلالها وحرامها، والرفاهية استمتاع بملاذات الدنيا حلالها وحرامها، فيهدف البحث إلى تصحيح هذه الأفكار الخاطئة.

مشكلة البحث

الإسلام دين يدعو إلى الزهد في الدنيا وعدم التعلق بلذاتها، وفي ذات الموقف فالإسلام دين يدعو إلى عمارة الأرض والتمتع بمنافعها بما تعنيه هذه الكلمات من رفاهية ورغد، وهنا تكمن المشكلة، وهي كيف تتسق الدعوة إلى الزهد كمنهج حياة في الدنيا مع الدعوة إلى الرفاهية والرغد مع كون ظاهرهما متعارض؟

ويتفرع من هذا السؤال الرئيس عدة أسئلة أخرى فرعية وهي:

الأول: ما مفهوم الرفاهية والزهد في الإسلام؟

الثاني: ما حقيقة الزهد المشروع في الإسلام؟

الثالث: ما موقف الإسلام من رفاهية العيش؟

الرابع: كيف نوازن بين الزهد في الدنيا والرفاهية فيها؟

أهداف البحث

يهدف البحث إلى الكشف عن موقف الإسلام من كل من الرفاهية والزهد، وبيان الحد المطلوب منهما، وكيفية الموازنة بينهما.

منهج البحث

استخدم الباحث المنهج الاستقرائي والمنهج الاستنباطي؛ حيث قام باستقراء الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وآراء العلماء المسلمين لاستخلاص منهج الإسلام في كل من رفاهية العيش والزهد في الدنيا.

الدراسات السابقة

على حد علم الباحث لم تفرد دراسات علمية لهذا الموضوع، وإن تناول علماؤنا العظام هذه القضايا والمسائل في ثنايا كتبهم الموسوعية، ولكن بطريق متناثرة في مواضع شتى، ومن أقرب الدراسات لهذا الموضوع دراسة زيد بن محمد الرماني[١] بعنوان:"الإسراف والتبذير"، وقد تناول فيها: مفهوم الإسراف والتبذير، وأسباب الإسراف والتبذير، ونماذج من الإسراف والتبذير، والآثار المترتبة على الإسراف والتبذير، والإسراف والتبذير في واقع الناس، ومعالجة ظاهرة الإسراف والتبذير[٢]، هذه هي أهم المباحث التي تناولها الباحث في بحثه، ومن خلالها يتضح أن دراستي تتشابه مع هذه الدراسة من حيث بيان موقف الإسلام من الإسراف والتبذير كوجه مذموم من الرفاهية، غير أن دراستي تختلف عن هذه الدراسة من حيث النظرة الشمولية للرفاهية والتي تشمل الجانب الإيجابي منها والجانب السلبي، كما أنها تحاول كشف التوازن والاعتدال في الإسلام من حيث إباحته للرفاهية المحمودة واستحسانه للزهد المعتدل.

(١) عضو هيئة التدريس في قسم الاقتصاد الإسلامي بكلية الشريعة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.

(٢) انظر الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، **مجلة البحوث الإسلامية** – مجلة دورية، العدد الستون، ربيع الأول ١٤٢١هـ

هيكل البحث:

المبحث الأول: مفهوم الوسطية في ضوء القرآن والسنة.

المطلب الأول: تعريف الوسطية.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية شرعاً.

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الترف والإسراف.

المطلب الأول: تعريف الترف والإسراف وما يتعلق بهما.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من الترف والإسراف في ضوء الكتاب والسنة.

المبحث الثالث: موقف الإسلام من الزهد.

المطلب الأول: تعريف الزهد.

المطلب الثاني: حقيقة الزهد المشروع.

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الرفاهية.

المطلب الأول: تعريف الرفاهية.

المطلب الثاني: موقف الإسلام من عيش الرفاهية.

المبحث الخامس: الموازنة بين الرفاهية والزهد.

الخاتمة: وفيها نتائج البحث.

المبحث الأول: مفهوم الوسطية في ضوء القرآن والسنة

المطلب الأول: تعريف الوسطية

كلمة الوسطية مأخوذة من مادة"وسط"، ووسط الشيء منتصفه، والشيء بين الطرفين، قال ابن منظور: "وسَطُ الشَّيْءِ: مَا بَيْنَ طرَفَيْه"(١)، وقال:"وسَطُ الشَّيْءِ أَفضلَه وأَعْدَلَه"(٢)، وقال صاحب المصباح المنير:"الْوَسَطُ بِالتَّحْرِيكِ الْمُعْتَدِلُ يُقَالُ شَيْءٌ وَسَطٌ أَيْ بَيْنَ الْجَيِّدِ وَالرَّدِيءِ، وَعَبْدٌ وَسَطٌ وَأَمَةٌ وَسَطٌ وَشَيْءٌ أَوْسَطُ، وَلِلْمُؤَنَّثِ وُسْطَى بِمَعْنَاهُ"(٣)، وقال في المعجم الوسيط: "(الْوسط) وسط الشَّيْء مَا بَين طَرفَيْهِ وَهُوَ مِنْهُ، والمعتدل من كل شَيْء يُقَال شَيْء، وسط بَين الْجيد والرديء، وَمَا يكتنفه أَطْرَافه وَلَو من غير تساو، وَالْعدْل وَالْخَيْر (يُوصف بِهِ الْمُفْرد وَغَيره)، وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا ﴾(٤) عُدُولًا أَو خيارا وَهُوَ من وسط قومه من خيارهم"(٥).

يستفاد مما سبق أن الوسط هو الشيء بين الطرفين حقيقة، ويراد منه الأفضلية والخيرية والاعتدال وهو المعنى المراد ها هنا.

المطلب الثاني: مفهوم الوسطية شرعاً:

إن الناظر في الكتاب والسنة يجد أنهما استعملا مادة الوسط ومشتقاتها بمعنى الأفضلية والخيرية تارة، وبمعنى الاعتدال والتوازن تارة أخرى، ومن ذلك:

١-قال تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن

(١) ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤١٤هـ مادة وسط (٧/ ٤٢٦)

(٢) انظر السابق (٧/ ٤٢٨)

(٣) الفيومي أحمد بن محمد بن علي الفيومي ثم الحموي، أبو العباس (المتوفى: نحو ٧٧٠هـ)، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، الناشر: المكتبة العلمية – بيروت مادة وسط (٢/ ٦٥٨)

(٤) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٥) مجمع اللغة العربية بالقاهرة، **المعجم الوسيط**، الناشر: دار الدعوة، مادة وسط (٢/ ١٠٣١)

كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [(١)]، ذكر المفسرون أن الوسط في معنى هذه الآية هو الخيرية والأفضلية والعدالة، واختار الطبري أن المعنى المراد هنا هو الاعتدال، أي أن هذه الأمة معتدلة في دينها فقال:"وَأَنَا أَرَى أَنَّ الْوَسَطَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ هُوَ الْوَسَطُ الَّذِي بِمَعْنَى الْجُزْءِ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، مِثْلَ «وَسَطُ الدَّارِ» مُحَرَّكُ الْوَسَطِ مُثَقَّلَهُ، غَيْرُ جَائِزٍ فِي سِينِهِ التَّخْفِيفُ، وَأَرَى أَنَّ اللَّهَ -تَعَالَى ذِكْرُهُ- إِنَّمَا وَصَفَهُمْ بِأَنَّهُمْ وَسَطٌ لِتَوَسُّطِهِمْ فِي الدِّينِ، فَلَا هُمْ أَهْلُ غُلُوٍّ فِيهِ، غُلُوَّ النَّصَارَى الَّذِينَ غَلَوْا بِالتَّرَهُّبِ وَقِيلُهُمْ فِي عِيسَى مَا قَالُوا فِيهِ، وَلَا هُمْ أَهْلُ تَقْصِيرٍ فِيهِ تَقْصِيرُ الْيَهُودِ الَّذِينَ بَدَّلُوا كِتَابَ اللَّهِ، وَقَتَلُوا أَنْبِيَاءَهُمْ وَكَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ وَكَفَرُوا بِهِ؛ وَلَكِنَّهُمْ أَهْلُ تَوَسُّطٍ وَاعْتِدَالٍ فِيهِ، فَوَصَفَهُمُ اللَّهُ بِذَلِكَ، إِذْ كَانَ أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَى اللَّهِ أَوْسَطَهَا"[(٢)]

٢-قال تعالى: ﴿حَٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُوا۟ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ﴾ [(٣)]، قال المراغي:"الوسطى: إما بمعنى المتوسطة بين شيئين أو أشياء لها طرفان متساويان، وإما بمعنى الفضلى، وبكل من المعنيين قال جماعة من العلماء، ومن ثم اختلفوا أىّ الصلوات أفضل؟ وأيتها المتوسطة؟ وأرجح الأقوال أنها صلاة العصر"[(٤)]، إذن يدور معنى الوسطى هنا حول أحد معنيين، إما التوسط بين الشيئين أو الأفضلية والخيرية.

٣- قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِىٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ [(٥)]، وكلمة أوسط هنا يدور معناها حول أحد معنيين هما: الأول: الأمثل والأفضل، ومن اختار

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٢) الطبري محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١ م (٢/ ٦٢٧)

(٣) سورة البقرة الآية: ٢٣٨

(٤) المراغي أحمد بن مصطفى المراغي (المتوفى: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥هـ - ١٩٤٦ م (٢/ ٢٠٠)

(٥) سورة المائدة الآية: ٨٣

هذا المعنى من المفسرين راعى المعنى اللغوي، وراعى كذلك مصلحة الفقير، والمعنى الثاني: المتوسط بين الغالي والرخيص، وهو الغالب في طعام المكفر، ومن أخذ بهذا المعنى راعى المعنى اللغوي مع مصلحة المكفر [١].

٤- قال تعالى: ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [٢]، جاءت هذه الآية في سياق ندم المانعين لحق الفقير من زكاة ثمارهم بعدما عاقبهم الله تعالى بإحراق حديقتهم، عند ذلك ذكرهم أفضلهم وأحسنهم عقلاً ورأياً بتسبيح وتنزيه خالقهم الذي جحدوا نعمته، فبخلوا بحقه الواجب للفقراء والمحرومين فعاقبهم بذلك[٣].

٥- قال تعالى: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [٤]، قال القاسمي:"أي فتوسطن ودخلن في وسط جمع من الأعداء، ففرقنه وشتتنه"[٥]، ويقصد خيل المجاهدين التي تتوسط الأعداء من فرط شجاعة أصحابها.

لعله اتضح من خلال الآيات السابقة أن القرآن الكريم استخدم الوسط بمعانيه اللغوية السابقة التي تعني: التوسط الحسي والمعنوي بين الشيئين بمعنى الاعتدال، وكذلك بمعنى الأفضلية والخيرية والعدالة.

ووردت مادة الوسط في السنة في أحاديث كثيرة منها:

١- عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "يُدْعَى نُوحٌ يَوْمَ القِيَامَةِ، فَيَقُولُ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيُقَالُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: مَا أَتَانَا مِنْ نَذِيرٍ، فَيَقُولُ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ،

(١) طنطاوي محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى (٤/ ٢٦٦)

(٢) سورة القلم الآية: ٢٨

(٣) الصابوني محمد علي، **صفوة التفاسير**، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧ م، (٣/ ٤٠٤)

(٤) سورة العاديات الآية: ٥

(٥) القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسمي (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ (٩/ ٥٢٩)

فَتَشْهَدُونَ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [1] فَذَلِكَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾[2] وَالوَسَطُ: العَدْلُ"[3]، وفي هذا الحديث التصريح من النبي (ﷺ) بأن الوسط بمعنى العدل، وهذا اللفظ منه في آخر الحديث من المرفوع، وليس بمدرج كما صرح بذلك الحافظ في الفتح ودلل عليه بروايات أخرى [4].

٢- عَنْ نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ:"لَمَّا نَزَلَتْ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [5] فَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ؛ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [6]، فَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ لأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلاَ إِيمَانٍ بِبَعْثٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الآيَةَ، خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ قَالَ نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، أَفَلاَ نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ، قَالَ: بَلَى، وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ، فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالمشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ البِضْعُ ثَلاَثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ، فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ، قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ، قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا، فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ، لأَنَّ

(١) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٢) سورة البقرة الآية: ١٤٣

(٣) أخرجه البخاري ك/ تفسير القرآن، ب/ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ (٦/ ٢١)

(٤) انظر ابن حجر أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار المعرفة - بيروت، ١٣٧٩هـ (٨/ ١٧٢)

(٥) سورة الروم الآيتان ١، ٢

(٦) سورة الروم الآية: ٤

اللَّهَ تَعَالَى قَالَ فِي بِضْعِ سِنِينَ، قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ"[١]، والشاهد من الحديث أنهم جعلوا المدة الوسط بين الثلاث والتسع سنين هي الست، وبذلك يكون الوسط استعمل بمعنى الشيء المتوسط بين الشيئين.

٣- عن عبد الله بن معاوية الغَاضِرِيِّ - من غاضِرَةِ قيْسٍ - قال: قال النبيُّ - صلَّى الله عليه وسلم -: "ثلاثٌ مَنْ فَعَلَهنَّ فقد طَعِمَ طَعْمَ الإيمان: مَنْ عَبَدَ الله وحدَه وأنَّه لا إله إلا الله، وأعطى زكاةَ مالِه طيبةً بها نفسُه، رافدةً عليه كل عام، ولا يُعطي الهَرِمة، ولا الدَّرِنَة، ولا المريضَة، ولا الشَّرَطَ اللَّئيمةَ، ولكن من وَسَطِ أموالِكُم، فإنَّ الله لم يسألْكُم خَيرَه، ولم يأمُرْكُم بشَرِّه"[٢]، والشاهد من الحديث أنه استخدم كلمة الوسط بمعنى المال المتوسط بين الغالي النفيس وبين الرخيص البخس، وبذلك يكون راعى مصلحة الفقير والغني معاً.

٤- عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَخَطَّ خَطًّا، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَمِينِهِ، وَخَطَّ خَطَّيْنِ عَنْ يَسَارِهِ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ فِي الْخَطِّ الْأَوْسَطِ، فَقَالَ: «هَذَا سَبِيلُ اللَّهِ» ثُمَّ تَلَا هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[٣]"[٤]، ووجه الدلالة من الحديث أنه استعمل كلمة الأوسط بمعنى الخط بين الخطين أو الشيء بين الشيئين.

٥- عنْ أبي هُرَيْرَةَ عَنِ النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - قالَ:"إنَّ في الجنَّةِ مائَةَ دَرَجَةٍ، أَعَدَّها اللهُ لِلْمُجاهِدين في سبيله، كُلُّ درجتينِ ما بيْنَهُما كما بيْنَ السَّماءِ والأَرْضِ، فإذا سأَلْتُمُ الله فَسَلُوهُ الفِرْدَوْسَ؛ فإنَّه أوْسَطُ الجَنَّةِ، وأَعْلى الجنَّةِ، وفوْقَهُ عَرْشُ الرَّحْمنِ، وَمِنْهُ تَفَجَّرُ أَنْهارُ الجَنَّةِ"[٥]، والشاهد من الحديث أن الفردوس أوسط الجنة أي أفضلها كما ذكر القسطلاني[٦].

---

(١) أخرجه الترمذي في **السنن** وقال: حسن صحيح (٥/ ١٩٨) وحسنه الألباني في **سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة** (٧/ ٣٦٦)

(٢) أخرجه أبو داود **سنن أبي داود** . محقق وبتعليق الألباني (٢/ ١٥) وصححه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (١/ ٥٨٤)

(٣) سورة الأنعام الآية: ١٥٣

(٤) أخرجه ابن ماجه **في السنن** وصححه الألباني (١/ ٦)

(٥) أخرجه البخاري:ك/ الجهاد والسير ب/ دَرَجَاتِ المجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، يُقَالُ: هَذِهِ سَبِيلِي وَهَذَا سَبِيلِي (٤/ ١٦)

(٦) القسطلاني أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الملك القسطلاني القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى:

٦- عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ:"البَرَكَةُ تَنْزِلُ وَسَطَ الطَّعَامِ، فَكُلُوا مِنْ حَافَتَيْهِ، وَلاَ تَأْكُلُوا مِنْ وَسَطِهِ"(١)، والشاهد من الحديث أن كلمة الوسط هنا استعملت بمعنى الشيء المتوسط بين الأشياء، ووسط الطعام المراد به وسط القصعة التي يؤكل منها، فمن السنة الأكل من حافتي القصعة لا وسطها(٢).

٧- عن أبي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَسِّطُوا الْإِمَامَ وَسُدُّوا الْخَلَلَ»(٣)، قال الشوكاني:"مُحْتَمَل أَنْ يَكُون الْمُرَاد اجْعَلُوهُ مُقَابِلًا لِوَسْطِ الصَّفّ الَّذِي تَصُفُّونَ خَلْفه، وَمُحْتَمَل أَنْ يَكُون مِنْ قَوْلهمْ فُلَان وَاسِطَة قَوْمه: أَيْ خِيَارهمْ، وَمُحْتَمَل أَنْ يَكُون الْمُرَاد اجْعَلُوهُ وَسْط الصَّفّ فِيمَا بَيْنكُمْ غَيْر مُتَقَدِّم وَلَا مُتَأَخِّر"(٤).

نستخلص مما سبق من الآيات والأحاديث أن الوسطية من خلال المنظور الشرعي تعني التوسط والاعتدال بين شيئين، كلاهما غير مستحسن أو مرغوب فيه، وهذا يعني أن التوسط في الأمور هو أعدل شيء وأحسنه، قال ابن منظور:"كلُّ خَصْلة مَحْمُودَةٍ فَلَهَا طَرَفانِ مَذْمُومان، فإِن السَّخاء وسَطٌ بَيْنِ البُخل وَالتَّبْذِيرِ، والشجاعةَ وسَط بَيْنِ الجُبن والتهوُّر، والإِنسانُ مأْمور أَن يَتَجَنَّبَ كُلَّ وصْف مَذْمُوم، وتجنُّبُه بالتعَرِّي مِنْهُ والبُعد مِنْهُ، فكلَّما ازْدَادَ مِنْهُ بُعْداً ازْدَادَ مِنْهُ تقرُّباً، وأَبعدُ الْجِهَاتِ وَالْمَقَادِيرِ وَالْمَعَانِي مِنْ كُلِّ طَرَفَيْنِ وسَطُهما، وَهُوَ غَايَةُ الْبُعْدِ مِنْهُمَا، فإِذا كَانَ فِي الوسَط فَقَدْ بَعُد عَنِ الأَطراف الْمَذْمُومَةِ بِقَدْرِ الإِمكان"(٥)، وهذا هو المعنى المبتغى في هذا البحث، والله تعالى أعلم.

=

٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**،الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣هـ (٥/ ٣٨)

(١) أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح في **سنن الترمذي** ت بشار (٣/ ٣١٧) وصححه الألباني في **صحيح الترغيب والترهيب**، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة (٢/ ٢٤١)

(٢) انظر المباركفوري أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم المباركفوري (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت (٥/ ٤٢٧)

(٣) أخرجه أبو داود في **سنن أبي داود** . محقق وبتعليق الألباني (١/ ٢٥٤)، ضعفه الألباني في **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي (ص: ٨٨٤)

(٤) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م (٣/ ٢١٤)

(٥) ابن منظور، **لسان العرب** (٧/ ٤٣٠)

المبحث الثاني: موقف الإسلام من الترف والإسراف

المطلب الأول: تعريف الترف والإسراف وما يتعلق بهما

تعريف الرغد لغة:

الرغد من الْعَيْش الْكثير الْوَاسِع الَّذِي لَا يتعب فِيهِ وَفِي التَّنْزِيل الْعَزِيز ﴿فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [(١)]، وَيُقَال هُوَ فِي رغد من الْعَيْش رزق وَاسع وعيشة رغد وَاسِعَة طيبَة[(٢)].

تعريف الرغد اصطلاحاً:

عرفه أبو البقاء الحنفي فقال: الرغد: هُوَ أَن يَأْكُل مَا شَاءَ إِذا شَاءَ حَيْثُ شَاءَ[(٣)]، ويؤخذ على هذا التعريف تخصيص الرغد بالأكل رغم أنه يفهم من التعريف اللغوي أنه يشمل جميع مناحي الحياة، والأفضل أن يقال في تعريف الرغد: العيش الطيب الواسع[(٤)].

تعريف الترف لغة:

ترِفَ يَترَف، تَرَفًا، فهو تَرِف، ترِف الشَّخصُ: تنعّم، وعاش في رفاهِيَة"تعوّد على عِيشة التَّرف"[(٥)].

قال ابن منظور في اللسان:"ترف: الترَفُ: التَّنَعُّمُ، والتُّرْفةُ النَّعْمةُ، والتَّتْريفُ حُسْنُ الغِذاء، وصبيٌّ مُتْرَفٌ إِذَا كَانَ مُنَعَّمَ البدنِ مُدَلَّلًا والمتْرَفُ: الَّذِي قَدْ أَبْطَرَتْه النعمةُ وسَعة العيْشِ، وأَتْرَفَتْه النَّعْمةُ أَي أَطْغَتْه."، و"المتْرَفُ: المتَنَعِّمُ المتَوَسِّعُ فِي مَلاذِّ الدُّنْيَا وشَهواتِها"[(٦)].

---

(١) البقرة: ٥٨.

(٢) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** (١/ ٣٥٧)

(٣) أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**،المحقق: عدنان درويش – محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت (ص: ٤٨٠)

(٤) المناوي محمد عبد الرؤوف المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف**، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، الناشر: دار الفكر المعاصر , دار الفكر – بيروت , دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠ (ص: ١٧٩)

(٥) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ)، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م (١/ ٢٩٠)

(٦) ابن منظور، **لسان العرب** (٩/ ١٧)

تعريف الترف اصطلاحاً:

من خلال التعريف اللغوي يمكن استنباط التعريف الإصطلاحي فنعرف الترف بأنه: **تنعم زائد بملاذ الدنيا وشهواتها مع ترفع النفس.**

تعريف الإسراف لغة:

السَرَفُ: ضدُّ القصدِ، والسَرَفُ: الإغفال والخطأُ، وقد سَرِفْتُ الشيء بالكسر، إذا أغفلتَه وجَهِلْتَهُ، والسَرَفُ: الضَراوَةُ، ويقال: هو من الإسرافِ، والإسْرافُ في النفقة: التبذيرُ[(١)].

تعريف الإسراف اصطلاحاً:

عرفه التهانوي فقال: "الإسراف صرف شيء فيما ينبغي زيادة على ما ينبغي"[(٢)]، وعند الحنفية: هو استعمال الشئ فوق الحاجة الشرعية، وتجاوز الحد في النفقة، وإنفاق المال الكثير في الغرض الخسيس، وعند الظاهرية: كل نفقة نهى الله عنها قلت أم كثرت[(٣)].

تعريف التبذير لغة:

التَّبْذيرَ هُوَ تفْرِيقُ البَذْرِ فِي الأَرض، وَمِنْه التَّبْذِيرُ بمعنَى صَرْفِ المالِ فِيمَا لَا يَنْبَغِي، وَهُوَ يَشْمَلُ الإِسرافَ فِي عُرْف اللُّغَة، ويُرادُ مِنْهُ حَقِيقتُه[(٤)].

تعريف التبذير اصطلاحاً:

التبذير هو:"صرف الشئ فيما لاينبغي زائدا على ما ينبغي"[(٥)].

وقيل: التبذير فيما لا يحتاج إليه ضرورة مما لا يبقى للمنفق بعده غنى.

---

(١) الجوهري إسماعيل بن حماد الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م (٤/ ١٣٧٣)

(٢) التهانوى محمد على، ت: ١١٥٨، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة الطبع: ١٩٩٦ م (١/ ١٧٦)

(٣) أبو جيب سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، الناشر: دار الفكر. دمشق – سورية، الطبعة:تصوير ١٩٩٣ م الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ = ١٩٨٨ م (ص: ١٧٠)

(٤) الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية (١٠/ ١٤٧)

(٥) السابق نفسه.

وقيل: إضاعة المال، وإن قل برميه عبثا.

وعند الإباضية: بذل المال حيث يجب إمساكه بحكم الشرع، أو المروءة.

وقيل: إهلاك المال، وإضاعته، وإنفاقه من غير فائدة دينه، أو دنيوية خاصة [١].

وقيل: هو تفريق المال على وجه الإسراف[٢].

وهذه التعريفات جميعاً متقاربة وتدل على أن التبذير معناه: **إضاعة المال فيما لا طائل من ورائه سواء في حرام أو في غير مستحسن.**

المطلب الثاني: موقف الإسلام من الترف والإسراف في ضوء الكتاب والسنة

إن موقف الإسلام من الترف والإسراف والتبذير واضح وجلي، فقد ذم القرآن الكريم ذلك وحرمته السنة النبوية وها هي الأدلة من الكتاب والسنة على ذلك:

١) قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ ۗ وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ [٣]، في هذه الآية الكريمة بين تعالى أن من أسباب النجاة النهي عن الفساد في الأرض، لكن الظالمين اغتروا بنعيم الدنيا وملاذاتها فانغمسوا في ذلك وكانوا من المجرمين، قال السعدي:"اتبعوا ما هم فيه من النعيم والترف، ولم يبغوا به بدلا"[٤]، وهذا سياق ذم للترف.

٢) قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾[٥]، وهذه الآية تدل على أن من أسباب الهلاك معصية المترفين والمنعمين لأمر الله

(١) السابق نفسه.

(٢) الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت –لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م (ص: ٥١)، و نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** (١/ ١٨٥).

(٣) هود: ١١٦.

(٤) السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م (ص: ٣٩١)

(٥) الإسراء: ١٦.

تعالى، أو أن الله تعالى يجعل الأمراء من المترفين الذين يكثرون من الفساد فيكون ذلك سبباً لهلاك هذه القرية[1].

٣) قال تعالى: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾ لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْأَلُونَ﴾[2] في هذه الآيات يبين الله تعالى حال الظالمين عند نزول العذاب بهم وهروبهم من كل متع الدنيا، فينهاهم الله تعالى نهى استنكار عن هذا الهروب، ويأمرهم من باب التوبيخ والاستهزاء أن يرجعوا إلى نعيمهم ومتعهم التي لم تغن عنهم من الله شيئاً، قال محمد صديق خان في تفسيره: "﴿وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ﴾ يعني ما تنعمتم ﴿فِيهِ﴾ من الدنيا ولين العيش، يعني إلى نعمكم التي كانت سبب بطركم وكفركم، والمترف المنعم، يقال أترف فلان أي وسع عليه في معاشه، وقل فيه همه"[3].

٤) قال تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِلِقَاءِ الْآخِرَةِ وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَٰذَا إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يَأْكُلُ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ﴾[4]، وهنا في سياق الامتنان يبين الله تعالى أن الكفار الذين أنعم الله عليهم في هذه الحياة بالغنى والثراء بدل أن يشكروا الله على ذلك ويؤمنوا برسوله زعموا أن هذا الرسول بشر يأكل ويشرب، وكأنهم يظنون أنه لابد أن يكون الرسول من الله تعالى ملكاً من السماء، قال الصابوني: "﴿وَأَتْرَفْنَاهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ أي وسَّعنا عليهم نعم الدنيا حتى بطروا ونعمناهم في هذه الحياة"[5]، والشاهد من الآية أنه ذكر الترف والحياة المنعمة من صفات الكفار الظالمين.

٥) قال تعالى: ﴿إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ ﴿٦٤﴾ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا

(١) انظر ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، **أوضح التفاسير**، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣هـ - فبراير ١٩٦٤ م (١/ ٣٣٨)

(٢) الأنبياء: ١١: ١٣.

(٣) أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري القِنَّوجي (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢هـ - ١٩٩٢ م (٨/ ٣٠٩)

(٤) المؤمنون: ٣٣.

(٥) الصابوني، صفوة التفاسير (٢/ ٢٨٢)

نُصَرُونَ ﴾[١]، وهنا بين تعالى أن العذاب إذا نزل على العظماء المنعمين ضجوا وصاحوا واستغاثوا، ولكن لا ينفعهم هذا الصراخ والعويل، قال فيصل بن عبد العزيز: "قال ابن زيد: المترفون: العظماء، ﴿إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ﴾، يقول: فإذا أخذناهم بالعذاب جأروا، يقول: ضجّوا واستغاثوا مما حلّ بهم من عذابنا، ﴿لَا تَجْـَٔرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ۖ إِنَّكُم مِّنَّا لَا تُنصَرُونَ﴾، قال الربيع: لا تجزعوا الآن حين حلّ بكم العذاب إنه لا ينفعكم، فلو كان هذا الجزع قَبْل نَفَعَكُمْ"[٢].

٦) قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴾[٣]، وفي هذه الآية يبين الله تعالى أن من سنة الله في خلقه أن أول من يكذب الرسل هم المترفون المنعمون، قال الثعالبي "هذه الآية تسلية للنّبي صلى الله عليه وسلّم عَنْ فِعْلِ قُرَيْشٍ وَقَوْلِها، أي: هَذِهِ يَا مُحَمَّدُ سِيرَةُ الأُمَمِ، فَلاَ يُهِمَّنَّكَ أَمْرُ قَوْمِكَ، وَالْقَرْيَةُ: المدِينَةُ، والمتْرَف: الغَنِيُّ المنْعَمُ، القَلِيلُ تَعَب النَّفْسِ وَالبَدَنِ، فَعَادَتُهُمُ المبَادَرَةُ بالتَّكْذِيبِ"[٤].

٧) قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴾[٥]، في هذه الآية يبين الله تعالى أن أغنياء القوم ورؤساءهم هم من يتصدرون لتكذيب الرسل وتقليد الآباء الكفار، قال المراغي تعليقاً على هذه الآية: (أي ومثل هذا المقال المتناهي فى الشناعة قالت الأمم الماضية لإخوانك الأنبياء، فلم نرسل قبلك فى قرية رسولا إلا قال رؤساؤها وكبراؤها: إنا وجدنا آباءنا على ملة ودين، وإنا على منهاجهم سائرون، نفعل مثل ما فعلوا، ونعبد ما كانوا يعبدون)[٦]،والشاهد من الآية أن

(١) المؤمنون: ٦٤: ٦٥.

(٢) النجدي فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، **توفيق الرحمن في دروس القرآن**، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم – بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦ م (٣/ ٢٠٤)

(٣) سبأ: ٣٤.

(٤) الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨هـ (٤/ ٣٧٥)

(٥) الزخرف: ٢٣.

(٦) المراغي، **تفسير المراغي** (٢٥/ ٨٠)

المترفين هم أسرع الناس تكذيباً للرسل بسبب طغيانهم بسبب التنعم والترف.

٨) قال تعالى: ﴿ وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴾[1]، وهذه الآيات تحكي صورة من عذاب أهل النار ومدى الشقاء والعناء الذي يجدونه فيها بعد أن كانوا منعمين مرغدين في الدنيا، قال صاحب روح البيان:"إِنَّهُمْ كانُوا قَبْلَ ذلِكَ مُتْرَفِينَ تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب يقال ترف، كفرح تنعم، وأترفته النعمة أطغته وانعمته وفلان أصر على البغي والمترف كمكرم المتروك يصنع ما يشاء فلا يمنع كما في القاموس أى إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب في الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين في الشهوات فلا جرم عذبوا بنقائضها"[2].

وهكذا تبين لنا من خلال الآيات السابقة أن كلمة الترف جاءت في القرآن الكريم في سياق الذم، وهذا يتسق مع المفهوم اللغوي لكلمة الترف، إذ لا يقف معناها عند التنعم والتلذذ بطيب العيش، وإنما معناها يتعدى إلى الكبر والبطر والخيلاء الناتج عن هذه النعم التي أنعم الله بها على العباد، فبدل أن يشكروا ربهم طغوا بهذه النعم وتعالوا على الناس، وهذا معنى يذمه الإسلام ويشينه، ومن هنا كره الإسلام الترف.

١) قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[3] هذا دعاء من المؤمنين بطلب المغفرة من الله تعالى من الذنوب، ومن الإسراف في الحرام، قال السعدي: "والإسراف: هو مجاوزة الحد إلى ما حرم، علموا أن الذنوب والإسراف من أعظم أسباب الخذلان، وأن التخلي منها من أسباب النصر، فسألوا ربهم مغفرتها"[4]، والإسراف في هذه الآية ليس معناه الإسراف في المال وإنما الإسراف في الذنوب، جاء في التفسير الوسيط: "﴿ وَإِسْرَافَنَا فِىٓ أَمْرِنَا ﴾:

(١) الواقعة: ٤١: ٤٥.

(٢) الخلوتي إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، **تفسير روح البيان**، دار النشر / دار إحياء التراث العربي (٩/ ٣٢٨)

(٣) آل عمران: ١٤٧.

(٤) السعدي، **تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن** (ص: ١٥١)

أي تجاوزنا الحدَّ في ارتكاب الكبائر"[١].

٢) قال تعالى: ﴿مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنَّهُۥ مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ۚ وَلَقَدْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم بَعْدَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ﴾[٢]، وفي هذه الآية يبين الله تعالى حرمة النفس البشرية، ويشدد على القاتل في شدة جرمه، ورغم ذلك الكثير من الناس لا يبالون بهذا التشديد في قتل النفس ويسرفون في قتلها، قال ابن كثير:"وَهَذَا تَقْرِيعٌ لَهُمْ وَتَوْبِيخٌ عَلَى ارْتِكَابِهِمُ الْمَحَارِمَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِهَا"[٣].

٣) قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَٱلنَّخْلَ وَٱلزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُۥ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ۚ كُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا۟ حَقَّهُۥ يَوْمَ حَصَادِهِۦ ۖ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٤]، الآية جاءت في سياق الامتنان من الله تعالى على خلقه، فهو الذي منحهم الشجر والنخل والنبات بشتى أنواعه وأوجب عليهم في مقابل هذا الزكاة للفقراء والمساكين من هذا الذي رزقهم إياه، ونهاهم عن الإسراف في ذلك وهو إما التصدق بجميعه فلا يبقي لأولاده شيئاً، وإما البخل على الفقراء فلا يعطي شيئاً، قال الإيجي:" ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓا۟﴾: في التصدق أو في الأكل والتصدق أو في البخل فلا تعطوا حق الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾: لا يرتضي فعلهم"[٥].

٤) قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾[٦]، وهنا ينهى الله تعالى عن الإسراف في الطعام والشراب الذي يكسل بسببه

(١) مجمع البحوث، **التفسير الوسيط** (٢/ ٦٧٢)

(٢) المائدة: ٣٢.

(٣) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م (٣/ ٩٤)

(٤) الأنعام: ١٤١.

(٥) الإيجي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ)، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٤ م (١/ ٥٨٥)

(٦) الأعراف: ٣١.

الإنسان عن الطاعة ويكون سبباً لأمراض فتاكة، وقد يكون المعنى النهي عن الإسراف في تحليل ما حرم الله أو تحريم ما أحل الله من الأطعمة والأشربة، قال الشنقيطي: "فالإسراف المنهي عنه في الأكل بما يسبب من التكاسل عن طاعات الله، وما يسبب من الأمراض وغير ذلك. الوجه الثاني؛ أن معنى: ﴿وَلَا تُسْرِفُوٓاْ﴾ أي: لا تجاوزوا حدود الله، فتحرِّمُوا ما أحلّ الله كالودك للمُحْرِم، وكاللباس للطَّائِف، فهذه أمورٌ لم يحرمها الله، ولا تسرفوا في التحريم والتحليل بأن تحرموا ما أحلَّ الله، وتحللوا ما حرَّم الله، وكلا الإسرافين إسراف. ولا مانع من أن تشمل الآية الجميع. فلا يجوز الإسراف بتحريم ما أحلَّ الله، وتحليل ما حرَّم الله، كما لا يجوز الإسراف الكثير بملء البطن مِلْئاً شديداً من الأكل والشرب حتى يتكاسل الإنسان ولا يتنشط لطاعة الله، وتأتيه الأمْرَاض؛ لأنه ما ملأ ابن آدم وعاءً شرّاً مِنْ بَطْنِهِ؛ فَإِنَّ مَنْ كَانَ كَثِيرَ الأَكْلِ والشُّرْبِ لا تراه يقوم الليل، ولا يتنشط للعبادات، ولا ينشط لسانه لذكر الله، فهو كسول ملول، وكذلك ربما نشأت له الأمراض"[(١)].

٥) قال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ ٱلنِّسَآءِۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾ [(٢)]، يخبر الله تعالى عن قوم لوط أنه تجاوزوا الحد الذي أباحه الله تعالى وهو إتيان الزوجة الجريمة شنيعة وهي إتيان الرجال مخالفين فطرة الله في ذلك وهذا من أعظم الإسراف في ارتكاب الذنوب والآثام، قال الزمخشري: "أضرب عن الإنكار إلى الإخبار عنهم بالحال التي توجب ارتكاب القبائح وتدعوا إلى اتباع الشهوات وهو أنهم قوم عادتهم الإسراف وتجاوز الحدود في كل شيء، فمن ثم أسرفوا في باب قضاء الشهوة، حتى تجاوزوا المعتاد إلى غير المعتاد. ونحوه بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عادُونَ"[(٣)].

٦) قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ٱلضُّرُّ دَعَانَا لِجَنۢبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ

(١) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦هـ (٣/ ١٦٧)

(٢) الأعراف: ٨١.

(٣) الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، (المتوفى: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٧هـ (٢/ ١٢٥)

﴿كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ (١)، ذكر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن الإنسان إذا أصابه ضر بادر بدعاء ربه، وإذا ما ذهب الضر عنه نسي ربه واللجوؤ إليه، وهذا من الإسراف الذي لا يحبه الله تعالى، قال الشوكاني: "أَنَّهُ زَيَّنَ لَهُمُ الْإِعْرَاضَ عَنِ الدُّعَاءِ، وَالْغَفْلَةَ عَنِ الشُّكْرِ، وَالِاشْتِغَالَ بِالشَّهَوَاتِ"(٢).

٧) قال تعالى: ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾ (٣)، بين الله تعالى من صفات فرعون وهو من أعظم الناس كفراً الإسراف في كل أموره، "إشارة إلى علوّ سلطانه، وأنه سلطان قائم على تراب هذه الأرض.. فهو سلطان- وإن علا- لن يبلغ أن يكون جبلا من جبال هذه الأرض، أو تلّا من تلالها: إنه بناء من تراب، على تراب! - وفى قوله سبحانه: «وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ» إشارة أخرى إلى إسرافه على نفسه، ومجاوزة الحدّ بها فى الظلم والجبروت"(٤).

٨) قال تعالى: ﴿ثُمَّ صَدَقْنَٰهُمُ ٱلْوَعْدَ فَأَنجَيْنَٰهُمْ وَمَن نَّشَآءُ وَأَهْلَكْنَا ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٥)، في هذه الآية ذكر الله تعالى أنه أهلك المسرفين على أنفسهم في الذنوب، قال المراغي:"إنا أرسلنا رسلا من البشر وصدقناهم وعدنا فنصرناهم على المكذبين وأنجيناهم هم ومن آمن معهم وأهلكنا الذين أسرفوا على أنفسهم بتكذيبهم رسل ربهم"(٦).

٩) قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٥٠﴾ وَلَا تُطِيعُوٓا۟ أَمْرَ ٱلْمُسْرِفِينَ﴾(٧)، وهنا يأمر بطاعته في مقابل مخالفة المسرفين على أنفسهم بالذنوب، وذكر المفسرون أنهم الكفار الذين عقروا ناقة صالح عليه السلام (٨).

---

(١) يونس: ١٢.

(٢) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت (٢/ ٤٨٨)

(٣) يونس: ٨٣.

(٤) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، دار النشر: دار الفكر العربي - القاهرة (٦/ ١٠٦٤)

(٥) الأنبياء: ٩.

(٦) المراغي **تفسير المراغي** (١٧/ ١٠)

(٧) الشعراء: ١٥٠: ١٥١.

(٨) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، **الجامع**

١٠) قال تعالى: ﴿ قَالُوا طَائِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴾ [١]، ذكر الله تعالى أن أصحاب القرية الكفار لما تشاءموا من الرسل، قال لهم رسل الله هذا من فرط إسرافكم في الأمر ومن مبالغتكم في الكفر[٢].

١١) قال تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُم بِالْبَيِّنَاتِ مِن رَّبِّكُمْ وَإِن يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾ [٣]، في معرض إنكار الرجل المؤمن على فرعون وأهله قتل موسى النبي عليه السلام بين لهم أن هذا كفر وإسراف والله لا يوفق المسرف لعمل الخير، قال الصابوني عن المسرف في هذه الآية الكريمة: "لا يُوفق للهداية والإيمان من هو مسرفٌ في الضلال، مبالغ في الكذب على الله"[٤].

١٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءَكُم بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴾ [٥]، وفي ذات السياق السابق ينكر عليهم الرجل المؤمن تكذيب موسى عليه السلام، فقد كذبتم يوسف من قبله ثم إذا هو قد مات من أجل مواصلة التكذيب للرسل زعمتم أن الله لن يرسل رسولا من بعده،قال الخازن:"وإنما قالوا ذلك على سبيل التشهي والتمني من غير حجة ولا برهان عليه بل قالوا ذلك ليكون لهم أساسا في تكذيب الأنبياء الذين يأتون بعده وليس قولهم لن يبعث الله من بعده رسولا تصديقا لرسالة يوسف كيف وقد شكوا فيها وإنما هو

=

لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م (١٣/ ١٢٩)، والنيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، **التَّفْسِيرُ البَسِيْط**، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠هـ (١٧/ ١٠٨)

(١) يس: ١٩.

(٢) الصابوني محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١ م (٢/ ١٥٩)

(٣) غافر: ٢٨.

(٤) الصابوني، **صفوة التفاسير** (٣/ ٩٣)

(٥) غافر: ٣٤.

تكذيب لرسالة من بعده مضمون إلى التكذيب لرسالته كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ يعني في شركه وعصيانه مُرْتَابٌ يعني في دينه"[(١)]، فأنتم في ضلال والله يضل المسرفين على أنفسهم بالكفر والآثام.

١٣) قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا وَلَا فِي ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴾ [(٢)]، بين الله على لسان الرجل المؤمن من آل فرعون أن الله تعالى سيحاسب الناس يوم القيامة وأن المسرفين على أنفسهم في الذنوب والآثام والكفر مصيرهم إلى النار، قال الزحيلي: "أي والواقع الحتمي أن مرجعنا ومصيرنا إلى الله بالموت ثم بالبعث في الدار الآخرة، فيجازي كل إنسان بعمله، وأن المسرفين في المعاصي، المستكثرين منها، المتعدّين حدود الله، المنغمسين في الشرك والوثنية والكفر،هم أهل النار الذين يصيرون إليها، الخالدين فيها بإسرافهم وهو شركهم بالله عزّ وجلّ"[(٣)].

١٤) قال تعالى: ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ [(٤)]، قال الصابوني:"الاستفهام إنكاري أي أنترك تذكيركم إعراضاً عنكم، ونعتبركم كالبهائم فلا نعظكم بالقرآن؟ ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴾ أي لأجل أنكم مسرفون في التكذيب والعصيان؟ لا، بل نذكّركم ونعظكم به إلى أن ترجعوا إلى طريق الحق"[(٥)].

١٥) قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [(٦)]، أى: نجيناهم من فرعون الذي كان متكبرا متجبرا، ومن المسرفين في فعل الشرور، وفي ارتكاب القبائح [(٧)].

---

(١) الخازن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، (المتوفى: ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل** (٤/ ٧٣)

(٢) غافر: ٤٣.

(٣) الزحيلي وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨هـ (٢٤/ ١٣٠)

(٤) الزخرف: ٥.

(٥) الصابوني **صفوة التفاسير** (٣/ ١٤٠)

(٦) الدخان: ٣٠: ٣١.

(٧) طنطاوي، **التفسير الوسيط** (١٣/ ١٢٩)

١٦) قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ٣٢ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴾ [١] ذكر الله تعالى أنه سينزل عذابه على قوم لوط الذين أسرفوا على أنفسهم في الكفر وفي اللواط، قال الطبري عن معنى المسرفين في الآية الكريمة:"يَعْنِي لِلْمُتَعَدِّينَ حُدُودَ اللَّهِ، الْكَافِرِينَ بِهِ مِنْ قَوْمِ لُوطٍ"[٢].

تبين لنا من خلال الآيات القرآنية أن الله تعالى ذم الإسراف الذي هو مجاوزة الحد المباح إلى المحرم في كل الأمور، وليس في المال فقط، وأكثر الآيات جاء الإسراف فيها بمعنى الكفر أو القتل أو اللواط أي كبائر الذنوب.

١) قال تعالى: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرۡ تَبۡذِيرًا ٢٦ إِنَّ ٱلۡمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخۡوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِۖ وَكَانَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورٗا ﴾ [٣]، قال الطاهر بن عاشور: "لَمَّا ذُكِرَ الْبَذْلُ الْمَحْمُودُ وَكَانَ ضِدُّهُ مَعْرُوفًا عِنْدَ الْعَرَبِ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِهِ لِلْمُنَاسَبَةِ؛ وَلِأَنَّ فِي الِانْكِفَافِ عَنِ الْبَذْلِ غَيْرِ الْمَحْمُودِ الَّذِي هُوَ التَّبْذِيرُ اسْتِبْقَاءٌ لِلْمَالِ الَّذِي يَفِي بِالْبَذْلِ الْمَأْمُورِ بِهِ، فَالِانْكِفَافُ عَنْ هَذَا تَيْسِيرٌ لِذَاكَ وَعَوْنٌ عَلَيْهِ، فَهَذَا وَإِنْ كَانَ غَرَضًا مُهِمًّا مِنَ التَّشْرِيعِ الْمَسُوقِ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ قَدْ وَقَعَ مَوْقِعَ الِاسْتِطْرَادِ فِي أَثْنَاءِ الْوَصَايَا الْمُتَعَلِّقَةِ بِإِيتَاءِ الْمَالِ لِيُظْهِرَ كَوْنَهُ وَسِيلَةً لِإِيتَاءِ الْمَالِ لِمُسْتَحِقِّيهِ، وَكَوْنَهُ مَقْصُودًا بِالْوِصَايَةِ أَيْضًا لِذَاتِهِ"[٤].

ومن خلال استعراضنا للآيات القرآنية تبين لنا ذم الترف والإسراف بكل أشكاله وتبذير المال، ولكن هذا منوط بما إذا كان المال سبباً لمعصية الله تعالى مثل اكتسابه من حرام أو نفقته في حرام، أو كان سبباً في الكبر والبطر على الناس، وهذا المعنى أكدته السنة المطهرة أيضاً، وهاك بعض الأحاديث الدالة على ذلك:

١) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "إياك والتنعم

(١) الذاريات: ٣٢: ٣٤.

(٢) الطبري، **تفسير الطبري = جامع البيان**، ط هجر (٢١/ ٥٣٢)

(٣) الإسراء: ٢٦: ٢٧.

(٤) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير** «**تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد**»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤هـ (١٥/ ٧٨)

فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين"[١] وفيه التحذير من التنعم الذي يدعو صاحبه إلى الكبر.

٢) عن أبي أمامة الحارثي أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: "البذاذة من الإيمان"[٢]، و(البذاذة) رثاثة الهيئة، وترك الترفه وإدامة التزين والتنعم في البدن والملبس من أجل إظهار خلق التواضع.

٣) عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ « لاَ تَزُولُ قَدَمَا ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ خَمْسٍ عَنْ عُمْرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَا أَبْلاَهُ وَمَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ وَمَاذَا عَمِلَ فِيمَا عَلِمَ»[٣]، والحدث يشعرنا بأنه لابد أن يكتسب المال من الحلال وينفق في الحلال، فإذا أنفق في الحرام كان من الترف الممقوت والإسراف المحرم، والله تعالى سائل الإنسان عن هذا يوم القيامة.

(١) أخرجه أحمد في **مسنده** (٤٢٠/٣٦)، والبيهقي في **الشعب** (٢٤٦/٨)، وحسنه الألباني في **صحيح الجامع** (٥٢٠/١)

(٢) أخرجه الإمام أحمد في **مسنده** (٣٩/ ٤٩٣)،وأبو داود (٢٣٨/٦)، وابن ماجه (١٣٧٩/٢)، والحاكم في **المستدرك** (٥١/١)، وصححه الألباني في **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه** (٩/ ١١٨)

(٣) أخرجه الترمذي في **سننه** (١٩٠/٤)، وحسنه الألباني في **الجامع الصغير وزيادته** (ص: ١٣٢٦)

المبحث الثالث: موقف الإسلام من الزهد

المطلب الأول: تعريف الزهد

تعريف الزهد لغة:

قال صاحب الصحاح: الزَهدُ: خلاف الرَغبة، تقول: زهد في الشئ وعن الشئ، يَزْهَدُ زَهَداً وزَهادَةً، وزَهد يَزْهَدُ لغة فيه، وفلان يَتَزَهَّد، أي يتعبد، والتزهيد في الشئ وعن الشئ: خلاف الترغيب فيه[1].

وقال ابن منظور: الزُّهد والزَّهادة فِي الدُّنْيَا وَلَا يُقَالُ الزُّهد إِلَّا فِي الدين خَاصَّةً، والزُّهد: ضِدُّ الرَّغْبَةِ وَالْحِرْصِ عَلَى الدُّنْيَا، وَالزَّهَادَةُ فِي الأَشياء كُلِّهَا: ضِدُّ الرَّغْبَةِ. زَهِدَ[2].

وقال صاحب جامع العلوم في اصطلاحات الفنون "الزّهْد: فِي اللُّغَة ترك الْميل إِلَى الشَّيْء، وَعند أَرْبَاب السلوك هُوَ بغض الدُّنْيَا والإعراض عَنْهَا، وَقيل ترك رَاحَة الدُّنْيَا طلبا لراحة العقبى وَيعرف من معرفَة الزَّاهِد أَيْضا"[3].

تعريف الزهد اصطلاحاً:

عرفه التهانوي فقال: "أخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقّن الحلّ"[4]، وقيل الزهد ترك الحلال من الدنيا والإعراض عنها وعن شهواتها بترك طلبها، فإنّ طالب الشيء مع الشيء، وقال الجنيد: الزهد خلوّ الأيدي من الأملاك والقلوب من التتبع أي الطلب. وقال السرّي الزهد ترك حظوظ النفس من جميع ما في الدنيا أي لا يفرح بشيء منها ولا يحزن على فقده ولا يأخذ منها إلّا ما يعينه على طاعة ربه أو ما أمر في أخذه مع دوام الذكر والمراقبة والتفكر في الآخرة، وهذا أرفع أحوال الزهد[5].

---

(١) الجوهري، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية** (٢/ ٤٨١)

(٢) ابن منظور، **لسان العرب** (٣/ ١٩٦)

(٣) نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون** (٢/ ١١٤)

(٤) التهانوى محمد على، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم** (١/ ٩١٣)

(٥) السابق (١/ ٩١٤).

وهذه التعريفات جميعاً متقاربة من حيث المعنى وتدل على أن الزهد معناه: العزوف عن متع الدنيا وشهواتها والاقتصار على القدر الضروري للحياة تعلقاً بالآخرة والقرب إلى الله تعالى.

المطلب الثاني: حقيقة الزهد المشروع

الزهد إذا كان عزوفاً عن الحرام أو عن بعض الحلال تورعاً وإفراغاً للقلب من التعلق بالدنيا وملاذاتها وشهواتها، وابتعاداً عن فتنة المال والبطر على الناس والحرص على الدنيا، وإقبالاً على الآخرة تقرباً إلى الله تعالى فهو مندوب إليه مرغب فيه، دل على ذلك الكتاب والسنة وعمل السلف الصالح كما هو آت:

١) قال تعالى: ﴿ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[(١)]، قال السعدي: "يخبر تعالى عن حقيقة الدنيا وما هي عليه، ويبين غايتها وغاية أهلها، بأنها لعب ولهو، تلعب بها الأبدان، وتلهو بها القلوب، وهذا مصداقه ما هو موجود وواقع من أبناء الدنيا، فإنك تجدهم قد قطعوا أوقات أعمارهم بلهو القلوب، والغفلة عن ذكر الله، وعما أمامهم من الوعد والوعيد، وتراهم قد اتخذوا دينهم لعبا ولهوا، بخلاف أهل اليقظة وعمال الآخرة، فإن قلوبهم معمورة بذكر الله، ومعرفته ومحبته، وقد أشغلوا أوقاتهم بالأعمال التي تقربهم إلى الله، من النفع القاصر والمتعدي"[(٢)].

٢) قال تعالى: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾[(٣)] قال صاحب أوضح التفاسير: "وقد أريد بهذه الآية الكريمة: الاحتياط من الانشغال عن الطاعات بالملذات، والحذر من الاشتغال بحب الأولاد عن حب الله تعالى والحرص على العبادات وأي عدو أعدى من المخلوق الذي يشغل عن الخالق، والمرزوق

(١) الحديد: ٢٠.

(٢) السعدي، **تفسير السعدي** (ص: ٨٤١).

(٣) آل عمران: ١٤.

الذي يصرف عن الرازق؟"[١].

٣) قال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴾[٢] قال محمد صديق خان: "المعنى من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الآخرة يضاعف الله له تلك الحسنة بعشرة أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، وقيل: معناه يزيد في توفيقه وإعانته وتسهيل سبل الخير له، ﴿وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي من كان يريد بأعماله وكسبه ثواب الدنيا وهو متاعها، وما يرزق الله به عباده منها، مؤثراً لها على الآخرة ﴿نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾ ما قضت به مشيئتنا، وقسم له في قضائنا، ولو تهاون به ولم يطلبه لأتاه"[٣].

٤) قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾[٤]، والآية جاء في سياق الحديث مع الخائفين من الجهاد في سبيل الله تعالى خشية الموت فبين الله لهم حقارة هذه الدنيا بالنسبة للآخرة، قال المراغي: "أي إن طلبكم للإنظار إنما هو خشية الموت والرغبة فى متاع الدنيا ولذاتها، مع أن كل ما يتمتع به فى الدنيا فهو قليل بالنسبة إلى متاع الآخرة؛ لأنه محدود فان، ومتاع الآخرة كثير باق ولا يناله إلا من اتقى الله وابتعد عن الأسباب التي تدنس النفس بالشرك والأخلاق الذميمة، فحاسبوا أنفسكم واعلموا أنكم ستجزون بأعمالكم إن خيرا فخير وإن شرا فشر، ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴾ أي: ولا تنقصون من الجزاء على أعمالكم مقدار فتيل، والفتيل ما يكون فى شق نواة التمر مثل الخيط، وبه يضرب المثل فى القلة والحقارة"[٥].

٥) قال تعالى: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْأَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴾[٦]، وفي الآية إنكار

(١) ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف، **أوضح التفاسير** (١/ ٦٩٢)

(٢) الشورى: ٢٠.

(٣) القِنَّوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري، **فتح البيان في مقاصد القرآن** (١٢/ ٢٩٣).

(٤) النساء: جزء من الآية: ٧٧.

(٥) المراغي، **تفسير المراغي** (٥/ ٩٥).

(٦) الأعلى: ١٦، ١٧.

على من فضل أعمال الدنيا وملاذتها على ما أعده الله تعالى للمتقين في الآخرة، قال الشوكاني: "وَالْمُرَادُ بِإِيثَارِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا هُوَ الرِّضَا بِهَا وَالِاطْمِئْنَانُ إِلَيْهَا وَالْإِعْرَاضُ عَنِ الْآخِرَةِ بِالْكُلِّيَّةِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهَا جَمِيعُ النَّاسِ مِنْ مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ، وَالْمُرَادُ بِإِيثَارِهَا مَا هُوَ أَعَمُّ مِنْ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْلُو عَنْهُ غَالِبُ النَّاسِ مِنْ تَأْثِيرِ جَانِبِ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ، وَالتَّوَجُّهِ إِلَى تَحْصِيلِ مَنَافِعِهَا وَالِاهْتِمَامِ بِهَا اهْتِمَامًا زائدا على اهتمامه بالطاعات"[(١)].

أما أحاديث النبي صلى الله عليه وسلم التي رغبت في الزهد في الدنيا والتقلل منها والعزوف عنها فهي كثيرة منها:

١) عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: أَخَذَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضِ جَسَدِي، فَقَالَ: «كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ»[(٢)]، وزاد الترمذي في روايته:"وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ القُبُورِ"[(٣)].

٢) عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ»[(٤)].

٣) عن قَيْسٌ، قَالَ: سَمِعْتُ مُسْتَوْرِدًا، أَخَا بَنِي فِهْرٍ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللهِ مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ - وَأَشَارَ يَحْيَى بِالسَّبَّابَةِ - فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟"[(٥)].

٤) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: دَخَلَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، فَقَالَ: لَوِ اتَّخَذْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِرَاشًا أَوْثَرَ مِنْ هَذَا؟ فَقَالَ: «يَا عُمَرُ، مَا لِي وَلِلدُّنْيَا؟ مَا لِلدُّنْيَا وَلِي؟ إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ الدُّنْيَا كَرَاكِبٍ سَارَ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ فَاسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ فَتَرَكَهَا»[(٦)].

---

(١) الشوكاني، **فتح القدير** (٥/ ٥١٧).

(٢) البخاري في **صحيحه** (٨/ ٨٩).

(٣) الترمذي في **السنن** - شاكر + ألباني (٤/ ٥٦٧).

(٤) مسلم في **صحيحه** (٤/ ٢٢٧٢).

(٥) السابق (٤/ ٢١٩٣).

(٦) أحمد بن حنبل في **مسنده** وصححه شعيب الأرنؤوط (١/ ٣٠١)، النسائي في **السنن الكبرى** (٥/ ٣٠٦)، ابن حبان =

٥) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَعْدِلُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ مَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ"(١).

٦) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ السَّاعِدِيِّ، قَالَ: أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلٌ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دُلَّنِي عَلَى عَمَلٍ إِذَا أَنَا عَمِلْتُهُ أَحَبَّنِي اللَّهُ وَأَحَبَّنِي النَّاسُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ازْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُحِبَّكَ اللَّهُ، وَازْهَدْ فِيمَا فِي أَيْدِي النَّاسِ يُحِبُّكَ النَّاسُ»(٢).

٧) عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَلَا يَزْدَادُ النَّاسُ عَلَى الدُّنْيَا إِلَّا حِرْصًا وَلَا يَزْدَادُونَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا بُعْدًا»(٣).

٨) عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:"يُؤْتَى بِأَنْعَمِ أَهْلِ الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيُصْبَغُ فِي النَّارِ صَبْغَةً، ثُمَّ يُقَالُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ خَيْرًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ نَعِيمٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ وَيُؤْتَى بِأَشَدِّ النَّاسِ بُؤْسًا فِي الدُّنْيَا، مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيُصْبَغُ صَبْغَةً فِي الْجَنَّةِ، فَيُقَالُ لَهُ: يَا ابْنَ آدَمَ هَلْ رَأَيْتَ بُؤْسًا قَطُّ؟ هَلْ مَرَّ بِكَ شِدَّةٌ قَطُّ؟ فَيَقُولُ: لَا، وَاللهِ يَا رَبِّ مَا مَرَّ بِي بُؤْسٌ قَطُّ، وَلَا رَأَيْتُ شِدَّةً قَطُّ"(٤).

٩) عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِالسُّوقِ، دَاخِلًا مِنْ بَعْضِ الْعَالِيَةِ، وَالنَّاسُ كَنَفَتَهُ، فَمَرَّ بِجَدْيٍ أَسَكَّ مَيِّتٍ، فَتَنَاوَلَهُ فَأَخَذَ بِأُذُنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «أَيُّكُمْ يُحِبُّ أَنَّ هَذَا لَهُ بِدِرْهَمٍ؟"فَقَالُوا: مَا نُحِبُّ أَنَّهُ لَنَا بِشَيْءٍ، وَمَا نَصْنَعُ بِهِ؟ قَالَ: «أَتُحِبُّونَ أَنَّهُ لَكُمْ؟"قَالُوا: وَاللهِ لَوْ كَانَ حَيًّا، كَانَ عَيْبًا فِيهِ، لِأَنَّهُ أَسَكُّ، فَكَيْفَ وَهُوَ مَيِّتٌ؟ فَقَالَ: «فَوَاللهِ لَلدُّنْيَا أَهْوَنُ عَلَى اللهِ، مِنْ هَذَا عَلَيْكُمْ»(٥)، قوله: كنفتيه أي من جانبيه، والأسك الصغير الأذن.

لعله اتضح لنا من خلال الأحاديث السابقة دعوة النبي (ﷺ) للزهد في ملاذ الدنيا، وهو

=

في **صحيحه** بتحقيق الأرناؤوط (١٤/ ٢٦٥)

(١) الترمذي في **سننه** ت بشار (٤/ ١٣٨) وصححه الألباني في **سنن الترمذي** – شاكر + ألباني (٤/ ٥٦٠).

(٢) ابن ماجه في **سننه** (٢/ ١٣٧٣)، وصححه الألباني في **سنن ابن ماجه** – باقي + ألباني (٢/ ١٣٧٣).

(٣) الحاكم، **المستدرك على الصحيحين** (٤/ ٣٥٩)، وحسنه الألباني في **صحيح الجامع الصغير وزيادته** (١/ ٢٥٤).

(٤) مسلم في **الصحيح** (٤/ ٢١٦٢).

(٥) السابق (٤/ ٢٢٧٢).

زهد قلبي، بمعنى عدم تعلق القلوب بها، وليس إنصرافاً كلياً عنها، وإنما المراد تزهيد القلوب فيها فينصرف الناس عن التناحر والتخاصم بسببها، فلا ينشأ بينهم تنافس يؤدي إلى الغل والكراهية والبغضاء بينهم بسبب دنيا لا تساوي عند الله شيئاً، ولا تزن عنده جناح بعوضة، والدنيا مهما طالت متاعها قليل، والآخرة مهما بعدت متاعها باق ودائم، وهذا المعنى لحقيقة الزهد هو ما فهمه سلفنا الصالح من خلال آيات القرآن الكريم وسنة النبي (ﷺ)، وهاك بعض المأثورات عنهم، وإلا فالمنقول عنهم في ذلك كثير لا يتسع المجال لتتبعه واستقصائه.

١) قال سفيان الثوري: الزهد في الدنيا قصر الأمل، ليس بأكل الغليظ ولا لبس العباء[١].

٢) قال الجنيد: الزُّهْدُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ۗ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾[٢]، فَالزَّاهِدُ لَا يَفْرَحُ مِنَ الدُّنْيَا بِمَوْجُودٍ، وَلَا يَأْسَفُ مِنْهَا عَلَى مَفْقُودٍ[٣].

٣) قال ذو النون المصري عن الزهد: "حَقِيقَتُهُ هُوَ الزُّهْدُ فِي النَّفْسِ"[٤].

٤) ومن أحسن ما قيل فيه: "لَيْسَ الزُّهْدُ فِي الدُّنْيَا بِتَحْرِيمِ الْحَلَالِ وَلَا إضَاعَةِ الْمَالِ وَلَكِنَّ الزُّهْدَ أَنْ تَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ أَوْثَقَ بِمَا فِي يَدِك وَأَنْ تَكُونَ فِي ثَوَابِ الْمُصِيبَةِ إذَا أَصَبْت أَرْغَبَ مِنْك فِيهَا لَوْ أَنَّهَا بَقِيَتْ لَك"[٥].

٥) قال ابن القيم رحمه الله: (لا تتم الرغبة في الآخرة إلا بالزهد في الدنيا)[٦].

---

(١) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م (٢/ ١٢)، الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، الناشر: دار المعرفة - بيروت (٤/ ٤٥٤)، صالح بن عبد الله بن حميد وآخرون، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم**، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة (٦/ ٢٢٣٣).

(٢) الحديد: ٢٣.

(٣) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (٢/ ١٢).

(٤) السابق (٢/ ١٤).

(٥) ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥ م (١٠/ ٦٤١).

(٦) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، **الفوائد**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣ م (ص: ٩٤).

ومن هذا الأقوال يتضح أن الزهد من قبل سلفنا الصالح كان من باب إيثار الآخرة على الدنيا من جهة القلب، فإيثار الدنيا على الآخرة إما من فساد في الإيمان، وإما من فساد في العقل، أو منهما معاً، ولذا نبذها رسول الله صلى الله عليه وسلم وراء ظهره هو وأصحابه، وصرفوا عنها قلوبهم، وهجروها ولم يميلوا إليها، عدوها سجناً لا جنة، فزهدوا فيها حقيقة الزهد، ولو أرادوها لنالوا منها كل محبوب، ولوصلوا منها إلى كل مرغوب، ولكنهم علموا أنها دار عبور لا دار سرور، وأنها سحابة صيف ينقشع عن قليل، وخيال طيف ما استتم الزيارة حتى أذن بالرحيل[1].

المبحث الرابع: موقف الإسلام من الرفاهية

المطلب الأول: تعريف الرفاهية

تعريف االرفاهية لغة:

رفُهَ يَرفُه، رفاهةً ورفاهيةً، فهو رافِه ورفيه، (الرَّفَاهِيَة) الرفاهة وهي رغد الْعَيْش وسعة الرزق وَالْخصب وَالنَّعِيم[2].

• رفُهَ الشَّخصُ: رفَه، أصاب نعمة واسعة من الرِّزق فَلانَ عَيْشُه واتِّسع "رَفُه بعد عُسْر- تمتَّع بالرَّفاهة- يجب العملُ على تحقيق مجتمع الرفاهية".

• رفُه عيشُه: اتّسع ولان وأخصب "في رفاهية من العيش".

و رَفاهِيَّة مفرد: مصدر صناعيّ من رفاهة: رغد العيش"يعيش حياة الرَّفاهيَّة"[3].

تعريف الرفاهية اصطلاحاً:

ومن المعنى اللغوي خرج التعريف الاصطلاحي للرفاهية فهي: سعة الرزق ونعومة العيش، وقال أبو البقاء: الرفاهة الراحة من التعب[4].

---

(١) أبو محمد عبد العزيز بن محمد بن عبد الرحمن بن عبد المحسن السلمان (المتوفى: ١٤٢٢هـ)، **مفتاح الأفكار للتأهب لدار القرار** (١/ ٢٦٥).

(٢) مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط** (١/ ٣٦٣).

(٣) أحمد مختار عبد الحميد عمر، **معجم اللغة العربية المعاصرة** (٢/ ٩٢١).

(٤) المناوي، **التوقيف على مهمات التعاريف** (ص: ١٧٩).

المطلب الثاني: موقف الإسلام من عيش الرفاهية

الإسلام لم يحرم الرفاهية ولم يجرمها، وإنما أباحها وشرعها إذا كانت في حدود المباح والمشروع، وإذا لم تطغ الإنسان وتصنع منه متكبراً متعالياً على الناس، كما أنها يجب أن لا تشغل الإنسان عن ذكر الله وعن الصلاة وعن أمور الآخرة، ولا ينسى الغني المترفه أخاه الفقير الذي يحتاج الطعام والكساء والدواء، إذا كانت الرفاهية بهذه الشروط التي ذكرناها فلا بأس منها، بل إن القرآن والسنة وعمل السلف الصالح دل على طلبها واستحسانها والأدلة على ذلك:

١) قال الله تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ﴾[(١)]، وهذه الآية تنص على أن الحياة الطيبة في الدنيا وهي حياة الرغد والرفاهية وراحة البال والقناعة جزاء من الله تعالى للصالحين المؤمنين، وإذا كانت كذلك دل على طلبها والترغيب فيها، قال الشوكاني: "وَأَكْثَرُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَى أَنَّ هَذِهِ الْحَيَاةَ الطَّيِّبَةَ هِيَ فِي الدُّنْيَا لَا فِي الْآخِرَةِ؛ لِأَنَّ حَيَاةَ الْآخِرَةِ قَدْ ذُكِرَتْ بِقَوْلِهِ: ﴿ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾"[(٢)].

٢) وقال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾[(٣)]، هذه الآية جاءت في سياق المن على هذه القرية بحياة الأمن والرغد، ولا يمن الله تعالى على العباد إلا بما هو حلال مرغوب فيه، قال المراغي: "أي بين الله صفة لقرية كان أهلها آمنين من العدو والقتال والجوع والسبي، يأتيها الرزق الكثير من سائر البلدان، فكفروا بنعم الله، فعمهم الجوع والخوف"[(٤)].

٣) قال تعالى: ﴿ فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ

(١) النحل: ٩٧.
(٢) الشوكاني، **فتح القدير** (٣/ ٢٣١).
(٣) النحل: ١١٢.
(٤) المراغي، **تفسير المراغي** (١٤/ ١٥٠).

تَعۡبُدُونَ ﴾ [1]، وهنا أباح الله تعالى لعباده التنعم والتلذذ بكل ما هو حلال من المطعومات مادام أنهم يشكرون الله تعالى، وهذه هي الرفاهية بعينها، قال مكي بن أبي طالب: "أي: فكلوا من الأنعام التي رزقكم الله حلالاً، أي: مذكاة على اسم الله ولا تحرّموها كما حَرَّمَتِ العرب الوصائل والسوائب والحامي وغير ذلك"[2].

٤) وقال تعالى: ﴿وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴾ [3]، وفي هذه الآية الكريمة يبين الله تعالى أنهم لو استقاموا على الهدى والتقى وطريقة الإسلام والصلاح لفتح الله لهم الأرزاق ونعمهم في الدنيا، جاء في تفسير الوسيط: "أَي: وأَن لو سار الكفار من الجن والإنس معتدلين دون ميل أَو جور على الطريقة المثلى والنهج القويم والصراط السوي، وهو ما جاءَ به محمد صلى الله عليه وسلم من عند ربه لأَسقاهم الله المطر الغدق الكثير، والغيث العميم الذي يحيي الله به نفوسهم، وينبت لهم به الزرع، ويدر الضرع، ويغمرهم في دنياهم بوافر النعم وجليل الخيرات"[4]، وهذا جزاء من الله تعالى ولا يكون الجزاء إلا بالشيء المباح أو المشروع.

٥) وقال عز وجل: ﴿ وَلَوۡ أَنَّ أَهۡلَ ٱلۡقُرَىٰٓ ءَامَنُواْ وَٱتَّقَوۡاْ لَفَتَحۡنَا عَلَيۡهِم بَرَكَٰتٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ ﴾ [5].

٦) وقال أيضاً: ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ أَقَامُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِم مِّن رَّبِّهِمۡ لَأَكَلُواْ مِن فَوۡقِهِمۡ وَمِن تَحۡتِ أَرۡجُلِهِمۡ ﴾ [6]، وهذه الآية كسابقتها جاءت في معرض الجزاء من الله تعالى، ولا يكون الجزاء إلا بما هو مباح أو مشروع، قال القاسمي:"وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقامُوا التَّوْراةَ وَالْإِنْجِيلَ أي: أقاموا

(١) النحل: ١١٤.

(٢) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه، وجمل من فنون علومه**، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية – جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩هـ – ٢٠٠٨ م (٦/ ٤١٠٤).

(٣) الجن: ١٦.

(٤) مجمع البحوث، **التفسير الوسيط** (١٠/ ١٦٢٢).

(٥) الأعراف: ٩٦.

(٦) المائدة: ٦٦.

أحكامهما وحدودهما وما فيهما من نعت رسول الله صلى الله عليه وسلم... لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ لوسّع عليهم أرزاقهم، بأن يفيض عليهم بركات من السماء والأرض، ويكثر ثمرة الأشجار وغلة الزروع، أو يرزقهم الجنان اليانعة الثمار، فيجتنونها من رأس الشجر، ويلتقطون ما تساقط على الأرض"[(١)].

٧) وقال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [(٢)]، وفي هذه الآية أمر من الله تعالى للمطلق أن يوسع على مطلقته في النفقة إذا كان موسراً، ومن وسع على غيره فمن باب أولى أن يوسع على نفسه.

٨) وقال أيضاً: ﴿ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ ﴾ [(٣)]، وهذه الآية في معنى سابقتها.

٩) وقال تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴾ [(٤)]، وفي هذه الآية أمر من الله تعالى بالتمتع بالزي وبالطعام والشراب ما لم يكن بشيء محرم، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «كل ما شئت واشرب ما شئت والبس ما شئت ما أخطأ بك خصلتان سرف ومخيلة»[(٥)]، قال الخازن: "وفي الآية دليل على أن جميع المطعومات والمشروبات حلال إلا ما خصه الشرع دليل في التحريم؛ لأن الأصل في جميع الأشياء الإباحة إلا ما حظره الشارع وثبت تحريمه بدليل منفصل"[(٦)].

١٠) وقال تعالى: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ [(٧)]، وهنا جاءت الآية في سياق الإنكار على من يضيق

(١) القاسمي، **تفسير القاسمي** (٤/ ١٩٠: ١٩١).
(٢) الطلاق: ٧.
(٣) البقرة: ٢٣٦.
(٤) الأعراف: ٣١.
(٥) الخازن، **تفسير الخازن لباب التأويل في معاني التنزيل** (٢/ ١٩٤).
(٦) السابق (٢/ ١٩٤).
(٧) الأعراف: ٣٢.

على الناس بتحريم ما أحله الله، قال الشنقيطي: "فَدَلَّ هَذَا النَّصُّ الْقُرْآنِيُّ أَنَّ تَمَتُّعَ الْمُؤْمِنِينَ بِالزِّينَةِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لَمْ يَمْنَعْهُمْ مِنِ اخْتِصَاصِهِمْ بِالتَّنَعُّمِ بِذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُمْ لَمْ يُذْهِبُوا طَيِّبَاتِهِمْ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا"(١).

وجاءت الأدلة من السنة لتؤكد هذا المعنى، وهو أن الرفاهية وعيش الرغد مباح ومشروع:

١) عن أبي هريرة مرفوعاً: "الطاعم الشاكر مثل الصائم الصابر"(٢)، وفيه دليل على أن الطاعم المتلذذ بنعمة الله تعالى مع شكره إياه له الأفضلية على من صبر على الجوع، وهذه الأفضلية تدل على مشروعية هذا التنعم وهذه الرفاهية.

٢) عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ أَنْ يَرَى أَثَرَ نِعْمَتِهِ عَلَى عَبْدِهِ"(٣)، قال البغوي: "هَذَا فِي تَحْسِينِ الثِّيَابِ بِالتَّنْظِيفِ، وَالتَّجْدِيدِ عِنْدَ الإِمْكَانِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُبَالِغَ فِي النَّعَامَةِ وَالدِّقَّةِ، وَمُظَاهَرَةُ الْمَلْبَسِ عَلَى الْمَلْبَسِ عَلَى مَا هُوَ عَادَةِ الْعَجَمِ"(٤)، وهذا دليل صريح على مشروعية الرفاهية إن كانت من غير سرف أو تكبر.

ولا يخفى علينا ما كان عليه بعض كبار الصحابة من تنعم ورفاهية مع شهادة النبي (ﷺ) لهم بالصلاح والفضل ولبعضهم بالجنة، مثل ذي النورين عثمان بن عفان وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن عبد المطلب (رضي الله عنهم).

(١) الشنقيطي، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن** (٧/ ٢٣١).

(٢) أخرجه البخاري تعليقاً، **صحيح البخاري** (٧/ ٨٢).

(٣) الترمذي، **سنن الترمذي** ت بشار (٤/ ٤٢١)، وحسنه الألباني، **مشكاة المصابيح**، المؤلف: محمد بن عبد الله الخطيب التبريزي، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، تحقيق: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة – ١٤٠٥ – ١٩٨٥ (٢/ ٤٨٧).

(٤) البغوي أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، **شرح السنة**،تحقيق: شعيب الأرنؤوط–محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي – دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ – ١٩٨٣م (١٢/ ٤٩).

المبحث الخامس: الموازنة بين الرفاهية والزهد

من الناس من يفهم الزهد بالابتعاد عن نِعَمِ الله تعالى وطيباته وزينته التي أخرج لعباده، كما هم عليه بعض الجاهلين الذين يحاولون إبعاد المسلمين عن أي اهتمام بالأمور المادية الدنيوية مع ما فيها من المفاسد من قبيل فتح المجال لسيطرة الآخرين من أعداء الإسلام على خيرات المسلمين وبركاتهم ومنابعهم المادية الغنية التي قل مثلها في غير بلاد المسلمين.

الشيطان يتلاعب ببعض الناس، يحرضهم على الزهد المذموم، و يأمرهم بالترك للدنيا وصناعة الحياة، ويخوفهم من طرقات الكسب، إظهاراً لنصحهم و حفظ دينهم، و في خفايا ذلك عجائب من مكره، وربما تكلم الشطان على لسان بعض المشايخ الذين يقتدي بهم التائب، فيقول له: اخرج من مالك و ادخل في زمرة الزهاد، فلابد من الاعتدال في كل شيء دون الإفراط والتفريط وعدم نسيان الآخرة، فقد قال الله سبحانه وتعالى ﴿ وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴾ [1]، إذن ليس الزهد أن لا تملك شيئاً إنما أن لا تملك كل شيء ولا يؤثر في قلبك، وفي حديث أبي كبشة الأنماري أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: "إنما الدنيا لأربعة نفر عبد رزقه الله مالا وعلما فهو يتقى فيه ربه ويصل فيه رحمه ويعلم لله فيه حقا فهذا بأحسن المنازل عند الله ورجل رزقه الله علما ولم يرزقه مالا فهو يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته وهما في الأجرسواء، ورجل رزقه الله مالا ولم يرزقه علما فهو يخبط في ماله لا يتقى فيه ربه ولا يصل فيه رحمه ولا يعلم لله فيه حقا فهو بأسوء المنازل عند الله ورجل لم يرزقه الله مالا ولا علما فهو يقول لو أن لي مالا لعملت بعمل فلان فهو بنيته وهما في الوزر سواء"[2]، والشاهد من الحديث أن من أوتي المال فأحسن التصرف فيه وأنفقه فيما يرضي الله تعالى مما هو مشروع أو مباح، فهذا بأحسن المنازل عند الله كما نصَّ الحديث، وإنما الإنكار على من يتخبط بماله في الملاذات والشهوات المحرمة، وفي حديث يسار بن عُبيد تصريح بهذا المعنى، وفيه أن النبي – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ – قال: «لَا بَأْسَ

(١) القصص: ٧٧.

(٢) أخرجه الترمذي، **سنن الترمذي** ت بشار (٤/ ١٤١)، و أحمد بن حنبل في المسند (٤/ ٢٣١)، وصححه الألباني في **مشكاة المصابيح** (٣/ ١٤٥٤).

بِالْغِنَى لِمَنِ اتَّقَى، وَالصِّحَّةُ لِمَنِ اتَّقَى خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى، وَطِيبُ النَّفْسِ مِنَ النَّعِيمِ» [(١)].

بل ورد في حديث أبي جحيفة رضي الله عنه إقرار النبي (ﷺ) لنكران سلمان الفارسي على أبي الدرداء (رضي الله عنهما) انصرافه التام عن الدنيا وانشغاله الكامل بالعبادة؛ حيث قال: "آخَى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَ سَلْمَانَ، وَأَبِي الدَّرْدَاءِ، فَزَارَ سَلْمَانُ أَبَا الدَّرْدَاءِ، فَرَأَى أُمَّ الدَّرْدَاءِ مُتَبَذِّلَةً، فَقَالَ لَهَا: مَا شَأْنُكِ؟ قَالَتْ: أَخُوكَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لَيْسَ لَهُ حَاجَةٌ فِي الدُّنْيَا، فَجَاءَ أَبُو الدَّرْدَاءِ فَصَنَعَ لَهُ طَعَامًا، فَقَالَ: كُلْ؟ قَالَ: فَإِنِّي صَائِمٌ، قَالَ: مَا أَنَا بِآكِلٍ حَتَّى تَأْكُلَ، قَالَ: فَأَكَلَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ ذَهَبَ أَبُو الدَّرْدَاءِ يَقُومُ، قَالَ: نَمْ، فَنَامَ، ثُمَّ ذَهَبَ يَقُومُ فَقَالَ: نَمْ، فَلَمَّا كَانَ مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ قَالَ: سَلْمَانُ قُمِ الآنَ، فَصَلَّيَا فَقَالَ لَهُ سَلْمَانُ: إِنَّ لِرَبِّكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِنَفْسِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، وَلِأَهْلِكَ عَلَيْكَ حَقًّا، فَأَعْطِ كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَذَكَرَ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَدَقَ سَلْمَانُ»"[(٢)]، ومن هنا يتبين لنا وجوب الموازنة بين متطلبات الدنيا والآخرة، فلا بأس بالرفاهية إذا كانت معينة على طاعة الله تعالى، موجبة لشكره.

قال ابن القيم:"وَلَيْسَ الْمُرَادُ-من الزهد- رَفْضَهَا -الدنيا- مِنَ الْمُلْكِ، فَقَدْ كَانَ سُلَيْمَانُ وَدَاوُدُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مِنْ أَزْهَدِ أَهْلِ زَمَانِهِمَا. وَلَهُمَا مِنَ الْمَالِ وَالْمُلْكِ وَالنِّسَاءِ مَا لَهُمَا، وَكَانَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ أَزْهَدِ الْبَشَرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، وَلَهُ تِسْعُ نِسْوَةٍ، وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَعَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ وَالزُّبَيْرُ وَعُثْمَانُ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ - مِنَ الزُّهَّادِ، مَعَ مَا كَانَ لَهُمْ مِنَ الْأَمْوَالِ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنَ الزُّهَّادِ، مَعَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ أَكْثَرِ الْأُمَّةِ مَحَبَّةً لِلنِّسَاءِ وَنِكَاحًا لَهُنَّ، وَأَغْنَاهُمْ. وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ مِنَ الْأَئِمَّةِ الزُّهَّادِ، مَعَ مَالٍ كَثِيرٍ، وَكَذَلِكَ اللَّيْثُ بْنُ سَعْدٍ مِنْ أَئِمَّةِ الزُّهَّادِ، وَكَانَ لَهُ رَأْسُ مَالٍ يَقُولُ: لَوْلَا هُوَ لَتَمَنْدَلَ بِنَا هَؤُلَاءِ"[(٣)].

(١) أخرجه ابن ماجه، **سنن ابن ماجه** (٢/ ٧٢٤)، والبخاري في **الأدب المفرد**،وصححه الألباني (ص: ١١٣)، و الألباني في **الجامع الصغير وزيادته** (ص: ١٣١٤).

(٢) أخرجه البخاري في **الصحيح** (٣/ ٣٨).

(٣) ابن القيم، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** (٢/ ١٥:١٦).

قال ابن باديس: "المال قوام الأعمال، وأداة الإحسان، وبه يمكن القيام بالحقوق: فصاحبه هو مالكه، ولكن الحقوق فيه تشاركه، ولا يقوم له بوجوه الحق إلاّ إذا أمسكه عن وجوه الباطل، ثم لا يقوم له بجميع تلك الوجوه إلاّ إذا أحسن التدبير في التفريق، وابتغى الحكمة في التوزيع، فلذا بعدما أمر الله تعالى بإعطائه الحقوق لأربابها.. نهى عن تبذير المال الذي هو أجملها، وبه يمكن إعطاؤها، والتبذير: هو التفريق للمال في غير وجه شرعي، أو في وجه شرعي دون تقدير، فيضر بوجه آخر: فالانفاق في المنهيات تبذير وإن كان قليلاً والانفاق في المطلوبات ليس بتبذير ولو كان كثيرا إلا إذا أنفق في مطلوب دون تقدير فأضر بمطلوب آخر: كمن أعطى قريباً، وأضاع قريباً آخر، أو أنفق في وجوه البر وترك أهله يتضورون بالجوع، وقد نبه النبي- صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ- على هذا بقوله: «وابدأ بمن تعول»[1]، والإنفاق في المباحات إذا لم يضيع مطلوباً، ولم يؤد إلى ضياع رأس المال، بحيث كان ينفق في المباح من فائدته ليس بتبذير، فإذا توسع في المباحات وقعد عن المطلوبات، أو أداه إلى إفناء ماله فهو تبذير مذموم"[2]

وهكذا كان حال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ سيد الزاهدين، وحال الخلفاء الراشدين ومعهم عمر بن عبد العزيز، وقد ضربوا بزهدهم المثل مع أن خزائن الأموال كانت تحت أيديهم، وفتح الله عليهم من الدنيا ما فتح، فما زادهم ذلك إلا زهداً فيها..

(١) أخرجه البخاري في **الصحيح** (٢/ ١١٢)، و مسلم في **الصحيح** (٢/ ٧١٧).

(٢) ابن باديس عبد الحميد محمد الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، **تفسير ابن باديس ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))**، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م (ص: ٨٢).

الخاتمة

وبعد أن انتهينا من هذا البحث تبينت لنا النتائج الآتية:

أولاً: الإسلام يحرم الترف والتبذير والسرف بكل أنواعه.

ثانياً: الزهد في الإسلام حقيقته تكمن في عدم تعلق القلب بملاذات الدنيا.

ثالثاً: الرفاهية في الإسلام مشروعة ومطلوبة إذا لم تكن بمحرم وشُكِر المنعم.

رابعاً: الزهد والرفاهية في المنظور الإسلامي لا يتناقضان، إذ ليس الزهد أن لا تملك شيئاً إنما أن لا تملك كل شيء ولا يؤثر في قلبك، والرفاهية لا تعني التمتع بالحرام، وإنما تعني التنعم بما هو حلال مع شكر الله تعالى على هذه النعم، وهذا يدلل على وسطية هذا الدين واعتداله.

خامساً: الحضارة الإسلامية قديماً قامت على الزهد والرفاهية معاً.

المصادر والمراجع

١) ابن الخطيب محمد محمد عبد اللطيف (المتوفى: ١٤٠٢هـ)، **أوضح التفاسير**، الناشر: المطبعة المصرية ومكتبتها، الطبعة: السادسة، رمضان ١٣٨٣ هـ - فبراير ١٩٦٤ م

٢) ابن باديس عبد الحميد محمد الصنهاجي (المتوفى: ١٣٥٩هـ)، المحقق: علق عليه وخرج آياته وأحاديثه أحمد شمس الدين، **تفسير ابن باديس** ((في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير))، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.

٣) ابن تيمية تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، **مجموع الفتاوى**، المحقق: أنور الباز - عامر الجزار، الناشر: دار الوفاء، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٦ هـ / ٢٠٠٥ م

٤) ابن حبان محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، **صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة – بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣م.

٥) ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **التحرير والتنوير** «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، الناشر: الدار التونسية للنشر – تونس، سنة النشر: ١٩٨٤ هـ

٦) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر، **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين**، تحقيق: محمد حامد الفقي، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣م.

٧) ابن قيم الجوزية محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين (المتوفى: ٧٥١هـ)، **الفوائد**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الثانية، ١٣٩٣ هـ - ١٩٧٣ م

٨) ابن كثير أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، **تفسير القرآن العظيم**، المحقق: سامي بن محمد سلامة، الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.

٩) ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ)، **سنن ابن ماجه**، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي

١٠) ابن منظور محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، **لسان العرب**، الناشر: دار صادر — بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ

١١) أبو البقاء الحنفي أيوب بن موسى الحسيني القريمي الكفوي (المتوفى: ١٠٩٤هـ)، **الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية**، المحقق: عدنان درويش - محمد المصري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت

١٢) أبو جيب سعدي، **القاموس الفقهي لغة واصطلاحا**، الناشر:دار الفكر. دمشق — سورية، الطبعة:تصوير ١٩٩٣ م الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ = ١٩٨٨ م

١٣) أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، **سنن أبي داود**، الناشر: دار الكتاب العربي . بيروت

١٤) أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني (المتوفى: ٢٤١هـ)، **مسند الإمام أحمد بن حنبل**، المحقق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١ م.

١٥) أبو محمد مكي بن أبي طالب حَمّوش بن محمد بن مختار القيسي القيرواني ثم الأندلسي القرطبي المالكي (المتوفى: ٤٣٧هـ)، **الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معاني القرآن وتفسيره، وأحكامه**، وجمل من فنون علومه، المحقق: مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي - جامعة الشارقة، بإشراف أ. د: الشاهد البوشيخي، الناشر: مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

١٦) أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) وآخرون، **معجم اللغة العربية المعاصرة**، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.

١٧) الألباني أبو عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، **ضعيف الجامع الصغير وزيادته**، أشرف على طبعه: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي.

١٨) الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح الترغيب والترهيب**، الناشر: مكتبة المعارف – الرياض، الطبعة: الخامسة

١٩) الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته**، الناشر: المكتب الإسلامي .

٢٠) الألباني محمد ناصر الدين، **صحيح وضعيف سنن ابن ماجه**، المكتب الإسلامي.

٢١) الإيجي محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الحسني الحسيني الشافعيّ (المتوفى: ٩٠٥هـ)، **تفسير الإيجي جامع البيان في تفسير القرآن**، دار النشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

٢٢) البخاري محمد بن إسماعيل أبو عبدالله الجعفي، **الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري**، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

٢٣) البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة (المتوفى: ٢٥٦هـ)، **الأدب المفرد**، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار البشائر الإسلامية – بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٩ - ١٩٨٩ م.

٢٤) البغوي محيي السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء الشافعي (المتوفى: ٥١٦هـ)، **شرح السنة**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط-محمد زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي - دمشق، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٢٥) البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني (المتوفى: ٤٥٨هـ)، **شعب الإيمان**، حققه وراجع نصوصه وخرج أحاديثه: الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد، أشرف على تحقيقه وتخريج أحاديثه: مختار أحمد الندوي، صاحب الدار السلفية ببومباي – الهند، الناشر: مكتبة الرشد للنشر والتوزيع بالرياض بالتعاون مع الدار السلفية ببومباي بالهند، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٣ م.

٢٦) التبريزي محمد بن عبد الله الخطيب، **مشكاة المصابيح**، الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، تحقيق: محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٥ - ١٩٨٥

٢٧) الترمذي أبو عيسى محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك (المتوفى: ٢٧٩هـ)، **الجامع الكبير – سنن الترمذي**، المحقق: بشار عواد معروف، الناشر: دار الغرب الإسلامي – بيروت، سنة النشر: ١٩٩٨ م.

٢٨) الترمذي محمد بن عيسى أبو عيسى السلمي، **الجامع الصحيح سنن الترمذي**، تحقيق: أحمد محمد شاكر وآخرون، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت.

٢٩) التهانوى محمد على، ت: ١١٥٨، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، الناشر: مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، سنة الطبع: ١٩٩٦ م

٣٠) الثعالبي أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن مخلوف (المتوفى: ٨٧٥هـ)، **الجواهر الحسان في تفسير القرآن**، المحقق: الشيخ محمد علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٨ هـ.

٣١) الجرجاني علي بن محمد بن علي الزين الشريف (المتوفى: ٨١٦هـ)، **كتاب التعريفات**، المحقق: ضبطه وصححه جماعة من العلماء بإشراف الناشر، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م.

٣٢) الجوهري إسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، الناشر: دار العلم للملايين – بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

٣٣) الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري المعروف بابن البيع (المتوفى: ٤٠٥هـ)، **المستدرك على الصحيحين**، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ – ١٩٩٠م.

٣٤) الخازن أبو الحسن علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي (المتوفى: ٧٤١هـ)، **لباب التأويل في معاني التنزيل**، تصحيح: محمد علي شاهين، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٥ هـ.

٣٥) الخلوتي إسماعيل حقي بن مصطفى الإستانبولي الحنفي، **تفسير روح البيان**، دار النشر / دار إحياء التراث العربى.

٣٦) الزَّبيدي محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٣٧) الزحيلي وهبة بن مصطفى، **التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج**، الناشر: دار الفكر المعاصر – دمشق، الطبعة: الثانية، ١٤١٨ هـ

٣٨) الزمخشري جار الله أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد (المتوفى: ٥٣٨هـ)، **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل**، الناشر: دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٧ هـ

٣٩) السعدي عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، المحقق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.

٤٠) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن**، الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت – لبنان ، عام النشر: ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.

٤١) الشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني (المتوفى: ١٣٩٣هـ)، **العَذْبُ النَّمِيرُ مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ**، المحقق: خالد بن عثمان السبت، إشراف: بكر بن عبد الله أبو زيد، الناشر: دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، الطبعة: الثانية، ١٤٢٦ هـ

٤٢) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **فتح القدير**، الناشر: دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق، بيروت

٤٣) الشوكاني محمد بن علي بن محمد بن عبد الله اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، **نيل الأوطار**، تحقيق: عصام الدين الصبابطي، الناشر: دار الحديث، مصر، الطبعة: الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٤٤) الصابوني محمد علي، **صفوة التفاسير**، الناشر: دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع – القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م

٤٥) الصابوني محمد علي، **مختصر تفسير ابن كثير**، الناشر: دار القرآن الكريم، بيروت – لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م.

٤٦) صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، وآخرون، **نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم**، الناشر: دار الوسيلة للنشر والتوزيع، جدة

٤٧) الطبري أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي (المتوفى: ٣١٠هـ)، **تفسير الطبري = جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، تحقيق: الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر الدكتور عبد السند حسن يمامة، الناشر: دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

٤٨) طنطاوي محمد سيد، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة – القاهرة ، الطبعة: الأولى.

٤٩) عبد الكريم الخطيب، **التفسير القرآني للقرآن**، دار النشر: دار الفكر العربي – القاهرة.

٥٠) العسقلاني أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل الشافعي، **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، الناشر: دار المعرفة – بيروت، ١٣٧٩هـ، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، عليه تعليقات العلامة: عبد العزيز بن عبد الله بن باز.

٥١) الغزالي أبو حامد محمد بن محمد الطوسي (المتوفى: ٥٠٥هـ)، **إحياء علوم الدين**، الناشر: دار المعرفة – بيروت.

٥٢) القاسمي محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق (المتوفى: ١٣٣٢هـ)، **محاسن التأويل**، المحقق: محمد باسل عيون السود، الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ.

٥٣) القرطبي أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين (المتوفى: ٦٧١هـ)، **الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي**، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ – ١٩٦٤ م

٥٤) القسطلاني أحمد بن محمد بن أبى بكر بن عبد الملك القتيبي المصري، أبو العباس، شهاب الدين (المتوفى: ٩٢٣هـ)، **إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري**، الناشر: المطبعة الكبرى الأميرية، مصر، الطبعة: السابعة، ١٣٢٣ هـ.

٥٥) القِنَّوجي أبو الطيب محمد صديق خان بن حسن بن علي ابن لطف الله الحسيني البخاري (المتوفى: ١٣٠٧هـ)، **فتحُ البيان في مقاصد القرآن**، عني بطبعهِ وقدّم له وراجعه: خادم العلم عَبد الله بن إبراهيم الأنصَاري، الناشر: المكتبة العصريَّة للطبَاعة والنّشْر، صَيدَا – بَيروت، عام النشر: ١٤١٢ هـ – ١٩٩٢ م

٥٦) المباركفورى أبو العلا محمد عبد الرحمن بن عبد الرحيم (المتوفى: ١٣٥٣هـ)، **تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي**، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت

٥٧) مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر، **التفسير الوسيط للقرآن الكريم**، الناشر: الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية، الطبعة: الأولى، (١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م) - (١٤١٤هـ = ١٩٩٣ م)

٥٨) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، دار النشر: دار الدعوة.

٥٩) المراغي أحمد بن مصطفى (المتوفى: ١٣٧١هـ)، **تفسير المراغي**، الناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة: الأولى، ١٣٦٥ هـ - ١٩٤٦ م.

٦٠) مسلم أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري، **الجامع الصحيح المسمى صحيح مسلم**، الناشر: دار الجيل بيروت - دار الأفاق الجديدة . بيروت.

٦١) المناوي محمد عبد الرؤوف، تحقيق: د. محمد رضوان الداية، **التوقيف على مهمات التعاريف**، الناشر: دار الفكر المعاصر، دار الفكر- بيروت، دمشق، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ.

٦٢) النجدي فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي (المتوفى: ١٣٧٦هـ)، **توفيق الرحمن في دروس القرآن**، حققه وخرج أحاديثه وعلق عليه: عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل محمد، الناشر: دار العاصمة، المملكة العربية السعودية - الرياض، دار العليان للنشر والتوزيع، القصيم — بريدة، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ-١٩٩٦م.

٦٣) النسائي أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن، **سنن النسائي الكبرى**، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، سيد كسروي حسن، الناشر: دار الكتب العلمية — بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ — ١٩٩١م

٦٤) نكري القاضي عبد النبي بن عبد الرسول الأحمد (المتوفى: ق ١٢هـ)، **دستور العلماء = جامع العلوم في اصطلاحات الفنون**، عرب عباراته الفارسية: حسن هاني فحص، الناشر: دار الكتب العلمية - لبنان/بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.

٦٥) النيسابوري أبو الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدي، الشافعي (المتوفى: ٤٦٨هـ)، التَّفْسِيرُ البَسِيْط، المحقق: أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمد بن سعود، ثم قامت لجنة علمية من الجامعة بسبكه وتنسيقه، الناشر: عمادة البحث العلمي - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الطبعة: الأولى، ١٤٣٠ هـ